

تطوُّر اهتمام الإباضية بالسُّنة

من خلال آراء المستشرق الإنكليزي جون كرافن ويلكنسون

Evolution of Ibadī interest at the Sunnah

Through the opinions of English orientalist John Craven Wilkinson

مصطفى بن محمد بن دريسو¹

طالب دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

m_bendrissou@yahoo.fr

أ.د مصطفى وينتن

جامعة غرداية

Muouintan2002@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2019/05/07 القبول: 2020/03/04 /النشر على الخط: 2020/03/15

Received: 07/05/2019 / Accepted: 04/03/2020 / Published online : 15/03/2020

الملخص:

في دراسة للمستشرق الإنكليزي جون كرافن ويلكنسون، تتحدث عن تطوُّر تدوين الحديث والسُّنة عند الإباضية عبر الأزمنة، وملايسات تدُّرجه ونموه على الصَّعِيدَيْن المشرقي في عُمان والمغربى بشمال إفريقيا، وطرح إشكاليَّة إن كان هذا التَّطوُّر أصيلاً وخالصاً داخل المذهب الإباضي، أو أنَّه تأثَّر بالوضع العام الذي سارت عليه المدارس السُّنَّية الأخرى؟ أو أنَّه استنسخ منها معاييرها وقواعدها في نقد الحديث؟. ولقد سعى ويلكنسون في هذه الدراسة أن يجيب على هذه الأسئلة قدر ما توفَّر لديه من مصادر، إذ أنَّه بيَّن أنَّ اهتمامه بداية كان بالتَّطوُّر الاجتماعي والتَّاريخي للإباضية، لكن شغفه بمعرفة إشكاليَّة وحديث جمع الحديث عند الإباضية، جعله يعقد دراسة خاصَّة في هذا الجانب.

وقد حاولنا في بحثنا بعد تحليلنا لهذه الدراسة على ضوء المصادر الإباضية أن نُبيِّن مدى موضوعيَّة ويلكنسون من عدمها في تتبُّع تدوين الحديث عند الإباضية، ونسبه بعض الجوامع والمؤلَّفات إلى أصحابها، وكذا إزالة الغموض وبعض الإشكالات عن شخصيَّات أثار حولها الجدل في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق - الإباضية - الدِّراسات الحديثيَّة - السُّنة والحديث عند الإباضية

Abstract:

Through several articles on Ibadism, the English Orientalist John Craven Wilkinson has studied the circumstances of the collection and transcription of the Hadiths, traditions relating to the deeds and words of the Prophet of Islam Muhammad and his companions, by the Ibadites in the East and North Africa through different historical periods. Wilkinson has attempted to study the originality and authenticity of the sources among scholars of the Ibadite school in comparison with the other schools of the Sunni rite, in an attempt to provide answers to the controversial issue of the transmission of texts of the prophetic tradition from the point of view of an English orientalist:

Key Words : Orientalism - Ibadism - Tradition of the prophet - The Hadith studies in the Ibadite school .

الإيميل: m_bendrissou@yahoo.fr

¹ المؤلَّف المرسل: بن دريسو مصطفى

مقدمة:

تعتبر دراسات المستشرق البريطاني ويلكنسون حول المذهب الإباضي مثيرة بما تحمله دوماً من إثارة إشكاليات، وقضايا تهم بالمرحلة المبكرة لظهور الإسلام، وتحاول بشكل خاص التثبت من موثوقية المصادر الإسلامية، مما حدى بالمستشرق ويلكنسون إلى انتهاج أسلوب التشكيك في كثير من المصادر الإباضية المتقدمة، خاصة عندما استند إلى فرضية كون أغلب التراث الإسلامي والإباضي منه خصوصاً تم تدوينه على حسبه بعد القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، مما جعله عرضة لكثير من التصرف والإضافات التي امتدت إليه من قبل النساخ والتلاميذ.

ولا غرابة في هذا المنهج المتبع إذا علمنا أن ويلكنسون ينتمي إلى مدرسة المراجعين، هذه المدرسة الاستشراقية الحديثة التي تتبني مراجعة جميع التراث الإسلامي ومصادره، ولم تسلم من هذه المراجعة حتى جهود المستشرقين الذين سبقوهم، مما جعلت هذه المدرسة عرضة لانتقادات شديدة من قبل المهتمين بالتراث الإسلامي.

وسنبحث في هذه الدراسة عن تطوّر علوم السُّنة عند الإباضية، ومدى اتباع ويلكنسون لنفس المنهج من عدمه، أو أنه تبني موقفاً جديداً؟ وكيف حاول أن يجيب في دراسته على الأسئلة التي طرحها، وعلى القضايا التي أثارها، حيث من خلال أبحاثه يتبين اهتمامه بالمذهب الإباضية، وقد أفرد للجانب الفقهي والحديثي دراسة خاصة، وهذا الأخير الذي سنعالجه في هذا البحث.⁽²⁾

وبناء على ما سبق فإنّ هذا المقال اقتضى تقسيمه إلى مبحثين، المبحث الأول يتعلّق بالترجمة للمستشرق ويلكنسون وأهمّ دراساته حول المذهب الإباضي، والمبحث الثاني ضمّنته الحديث عن تطوّر علوم السُّنة عند الإباضية، وذيلت المقال بنقد لأهمّ ما ذهب إليه ويلكنسون، ثمّ أتبعته بخاتمة لهذه الدراسة.

المبحث الأول: ترجمة المستشرق جون كرافن ويلكنسون John Craven Wilkinson، وأهمّ

أعماله:

1/ ترجمة المستشرق جون ويلكنسون John Craven Wilkinson:

البرفسور جون كرافن ويلكنسون John Craven Wilkinson مستشرق انكليزي معاصر، علم من أعلام الدارسين حول الإباضية وعمان، أستاذ سابق وزميل فخري في كلية سانت هيو في جامعة أكسفورد، St. Hugh's College At the University of Oxford حيث كان يدرّس من سنة 1969 حتى سنة 1997 عام تقاعده. عمل عدّة سنوات مستشاراً في شركات النفط العالمية في الشرق الأوسط قبل أن يعود إلى أكسفورد لكتابة أطروحة دكتوراه حول الإمامة الإباضية في سلطنة عُمان.

(2) الإباضية أصولها وتطوّرها المبكر في عمان، تأليف جون كرافن ولكنسون، سلسلة دراسات استشراقية في المذهب الإباضي (6)، ترجمة: د.

هلال بن سعيد الحجري، الطبعة الأولى، 2014 مسقط، بيت الغشّام للنشر والترجمة، سلطنة عمان مسقط، ص 468

وانظر أيضاً: تطوّر الفقه عند الإباضية من خلال آراء المستشرق جون كرافن ويلكنسون، مصطفى بن دريسو، د. مصطفى وينتن، مجلة الشّهاب،

مجلد 4، عدد 03، محرم 1440/سبتمبر 2018، جامعة الوادي. ص : 189 – 226

وقد ساهم بأبحاث عديدة حول الجانب التاريخي والأنثروبولوجي لعمان، من ذلك مثلاً مستوطنة المياه والتراب في جنوب شرق الجزيرة العربية (أكسفورد) 1977، وتقاليد الإمامة في عمان (كومبريدج 1987)، والحدود العربية (لندن 1991)، والإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان (أكسفورد 2010)، فضلاً عن ذلك نشر مجموعتين من الصور الفوتوغرافية عن تلك المناطق.

كما كان زميلاً زائراً في جامعة هارفارد، وكان مستشاراً لبعض القضايا للعديد من الحكومات في الشرق الأوسط حول على مسألة النزاع على الحدود.

ويروي عن نفسه أنه زار مكتبة مدينة بني يزقن الغنّاء في غرداية بدولة الجزائر سنة 1977، باحثاً عن مخطوطات، أين التقى بأعضاء من حلقة العزّابة والآباء البيض الذين وفّروا له سبيل الاطلاع على المخطوطات دون مشقة⁽³⁾، مع الإشارة أنّ بعض الباحثين من قبله كالمستشرق الفرنسي إميل ماسكوراي⁽⁴⁾ Émile Masqueray كانوا يذكرون غالباً أنهم يجدون عرقلة وصعوبة في بحثهم من خلال مشقة الحصول على المخطوط، ولعل هذا تفنيدياً لمن سبق من المستشرقين، أو أن يكون تغييراً في الموقف من قبل القائمين على حفظ المخطوطات، لمّا علّم صدق نية الباحث، أو لمّا عرفت المكتبات التي تحوي المخطوط في ميزاب تنظيمياً وضبطاً.

2/ أهم دراسات ويلكنسون حول المذهب الإباضي:

أعمال ويلكنسون حول المذهب الإباضي عديدة، تتجاوز ثلاثين دراسة في مجالات عدّة بين بحث تاريخي وعقدي وفقهي، وكذا السّنة النبوية الشريفة، وأبحاث أخرى تتركز بالخصوص فيما يتعلّق بسلطنة عمان، في تاريخه وثقافته وعلاقاته الخارجية ومن أهمّها:

1/ أصول الدولة العمانيّة، وشبه الجزيرة العربيّة، المجتمع والسياسة⁽⁵⁾: دراسة تاريخيّة تتعلّق بالتاريخ المبكر لدولة

عمان، وبداية الهجرات العربيّة، حيث تناول فيها المؤلّف الجانب الإباضي من الإسلام، وتطور التصدّع بين العاصمة مسقط والدّاخِل العماني.

2/ آل جلندی في عمان⁽⁶⁾: دراسة حول آل الجلندی، الذين يُعتبرون من قبيلة بارزة في عمان، والتي ظهرت في

(3) IbadiTheology. Rereading Sources and Scholarly Works, Ersilia Francesc, Georg Olms Verlag, Hildesheim. Zurich, 2015, P,330

(4) إميل ماسكوراي (1894 - 1843) Emile Masqueray: مستشرق فرنسي، ولد في روان Rouen شمال فرنسا وتوفي اثر أزمة قلبية مفاجئة وهو في الحادية والخمسين من عمره، تخرّج من كلية المعلمين العليا سنة 1866، وبعد عام 1871 عُيّن أستاذاً في ثانوية الجزائر، عمل مديراً لمدرسة الآداب العليا بالجزائر، اهتمّ بالدراسات حول الإباضية، والدراسات البربرية بشكل خاص، من آثاره: تحقيق كتاب سير أبي زكرياء، سنة 1878، كيف تألّفت البلدان عند قبائل البربر في بلاد الأطلس (1886)، له دراسات عن لهجات البربر والطوارق، وكان ينشر في جريدة "الفيجارو" مقالات تحت عنوان "ذكريات ومشاهد افريقيا. ينظر: Emil Masqueray, Augustin Bernard, (dans Revue Africaine, V38, Année 1894), 150

(5) The origins of the romans state, the arabian peninsula, society and politics .. ED. Derek Hopwood.

London : George Allen and Unwin LTD, 1979, 67-88

(6) The Julanda of Oman, studies (Muscat, Ministry of information and culture), I (1975), 97 -108

المهجرة الثانية لحركة الميجرات العربية لعمان، حتى أقامت إمامة إباضية في نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ودراسة في تاريخ القبيلة من خلال هجراتها والعلاقات مع الفرس، ودورها المهيمن على البلاد العربية، وانتهت فترة هيمنتهم سنة (206 هـ/822م) بعد محاولة الإطاحة الفاشلة بالإمامة في عمان.

3/ الإمامة الإباضية⁽⁷⁾: دراسة حول النظرية الإباضية في الإمامة والواقع العملي في تطبيق الإمامة في المجتمع الإباضي بعمان، في أزمنة وأماكن متعددة، وكذلك دراسة طبيعة العقد الذي يربط بين الأمة والإمام في القرن الثاني/الثامن الهجري، مع عقد مقارنة مع إباضية المغرب، وبين ما هو موجود كذلك عند أهل السنة، ثم عرض لبعض مبادئ الإمامة المطروحة في باب الإمامة لسالم بن سعيد الصائغي من خلال كتابه "كنز الأديب وسلافة اللبيب".

4/ الحديث عند الإباضية (محاولة للتطبيع)⁽⁸⁾: دراسة في الحديث عند الإباضية، وخاصة ما يتعلق بظروف جمع الحديث، وتسلسل السند عند الإباضية، ودراسة في مسند الزبيد بن حبيب، وآثار الزبيد بن حبيب، وديوان جابر بن زيد، وهذا البحث التي سيكون محور دراستنا في هذا المقال.

5/ الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان⁽⁹⁾: دراسة حاولت استنطاق بعض النصوص الغائصة في القرون الأولى للإسلام، وهي عصارة فكره حول المذهب الإباضي، ومختصراً عما كتبه سابقاً حول الإمامة والحديث وغيرها. وهو بحث يغلب عليه الطابع التاريخي، وتتبع التطور التاريخي لبعض القضايا الكلامية ومنشأها وأصلها الأول منذ البواكير الأولى للإسلام، ووضع ويلكنسون بعض المسلمات التاريخية موضع الشك والريبة، فبدأ يبحث عن إثباتات لها من خلال مقابلة النصوص ببعضها البعض.

ولكن ما يميز دراسته أنها يغلفها غالباً تأويل الظواهر سواء الدينية أو الاجتماعية من خلال الطابع القبلي القديم، إذ أن أغلب تحليلات ويلكنسون لم تنفك من تفسيرها وردّها إلى العصبية القبلية، سواء تعلّق الأمر بولاءات أو عداوات بين القبائل، حيث يقول في هذا "الانتماء القبلي هو مفتاح الغز كله"⁽¹⁰⁾

ويلكنسون ينتمي لمدرسة "المراجعون الجدد" les nouveaux Révisionnistes¹¹ التي تعتمد على مبدأ

(7) The ibadi imam, Bulletin of the school of Oriental and african studies (London)39 (1976), 535 - 551

(8) Ibadi Hadith ; An essay on normalization, Der Islam (Berlin) 62 (1985), 231 - 259

(9) الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان، تأليف جون كرافن ولكنسون، سلسلة دراسات استشرافية في المذهب الإباضي (6)، ترجمة: د.

هلال بن سعيد الحجري، الطبعة الأولى، 2014 مسقط، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان مسقط.

Ibadism Origins and Early Development in Oman. : Wilkinson: J.C ; New York – Oxford 2010

(10) الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان ، ص 227

(11) مدرسة "المراجعون الجدد" les nouveaux Révisionnistes : مدرسة تعتمد على مبدأ التشكيك في مصادر الإسلام، وتتبنى بشكل خاص البحث في موثوقية جمع وتدوين التراث الإسلامي، وهذه المدرسة تلخص نظرية أن الإسلام ما هو إلا خليط من أفكار من الديانة اليهودية، ومن مصادر يونانية وسريانية التي تعود إلى القرنين السابع والثامن الميلاديين، وكل النصوص من سيرة وأحاديث نبوية وقصص وتاريخ ومغازي كانت قد كتبت أو لفتت في عصر الدولة العباسية التي تمثل الدولة الدينية، وبإمكانها كتابة التاريخ والسيرة وفق أهوائها، وقد برزت هذه المدرسة مع جون وانسبرو سنة 1977 بعد إصداره لكتاب دراسات قرآنية، أين يشكك فيه حول مصدريّة القرآن الكريم وظروف تدوينه، وقد تبنت هذه المدرسة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية حيث خصّصت كرسيًا لدراسات الشرق الأدنى والدراسات الإسلامية، وكان يُشرف عليهما برنارد لويس، وبعد وفاته خلفه كل من باتريسيا كرون ومايكل كوك، وغيرها نظراً لتوسّعها وتطوّر أعمالها. أنظر: "المراجعون الجدد" مدرسة استشرافية جديدة؟، عبد الرحمن السالمي، مقال في مجلة الحوار اليوم، 2011/08/08 ،

التشكيك في مصادر الإسلام، وتبني شكل خاص البحث في موثوقية جمع وتدوين التراث الإسلامي، والذي بحسب هذه المدرسة يكون قد جمع بعد قرن ونصف من نشأة الإسلام، وذلك لإعطاء صبغة أن إضافات عديدة قد أدخلت إلى الإسلام من قبل النساخ، مما أفقده صفاءه ونقاءه، وهو يلخص كذلك نظرية أن الإسلام ما هو إلا خليط من أفكار من الديانة اليهودية، ومن مصادر يونانية وسريانية التي تعود إلى القرنين السابع والثامن الميلاديين⁽¹²⁾.

المبحث الثاني: السنة عند الإباضية وتطورها:

تعتبر السنة عند الإباضية المصدر الثاني للتشريع، بعد القرآن الكريم، ويليهما الإجماع والقياس، وقد قال فيه هذا العلامة الإباضي نور الدين السالمي:

حد أصول الفقه علم يقتدر *** به على استنباط أحكام السور
وسنة الرسول والإجماع *** كذلك القياس مع نزاع⁽¹³⁾

بينما يعتبر ويلكنسون أن الإباضية لا يمتلكون المصدر الثاني للتشريع، والذي يتعلق بالسنة النبوية، إذن فعلى حسبه لا حديث لهم بالمصطلح السني، ويعتبر هذا الأمر حجة عثرة أمام إبراز المذهب الإباضي مذهباً قائماً الأركان، ويذكر المؤلف أن الإباضية أنفسهم يلجؤون إلى الجوامع السنية لأخذ الحديث منها ولتغطية هذا العوز والنقص، وكانوا في الفترة المتقدمة غالباً ما يخلطون الحديث بالآثار، ولم يكن للإباضية إسهام في الحديث إلا بعد انتشار المذهبين الشافعي والمالكي في مناطق تواجدهم، سواء كان ذلك في المشرق أو في شمال إفريقيا، حيث ظهر بشكل واضح ضعف الإباضية في الحديث، لذلك برز عندهم أهمية مراجعة هذا القصور.

وذهب الباحث إلى اعتبار أن انفتاح الإباضية على قراءة كتب أهل السنة، جعلهم يراجعون أنفسهم في مسائل عدة، ومنها بالخصوص مسألة الحديث، حيث لم يكن بوسعهم تجاهل تلك الدراسات والتي هي في الغالب تستند إلى أقول النبي □، ولم يكن للإباضية حديث بالمعنى الاصطلاحي، أو بمعنى أدق يسائر المعايير السنية في قبول الحديث، ولهذا اعتبر ويلكنسون أن الإباضية لم يكن لهم حديث فيقول "حتى القرن الثالث لا نجد لهم أي حديث تقريباً"⁽¹⁴⁾

وعلى حسبه من أجل ذلك دأب العلماء من المذهب الإباضي على صياغة الحديث وفق مذهبهم، مع مراعاة مقاييس المدرسة السنية، ونجد من الذين سعوا جاهدين في ذلك أبو يعقوب بن يوسف الوارجلاني. وقبل أن نناقش آراء ويلكنسون فيما سبق حرياً بنا أن نتعرف على كتب السنة عند الإباضية والتي ذكرها الباحث

http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=391 (13:00 2018/01/01)، «المراجعون الجدد» والإسلام الأول، د. رضوان السيد، مقال في جريدة الاتحاد، 2015، http://www.alittihad.ae/wajahatdetails.php?id=85843 (10:30 2017/09/10).

(12) "المراجعون الجدد" مدرسة استشرافية جديدة؟، عبد الرحمن السالمي، مقال في مجلة الحوار اليوم، 2011/08/08،

http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=391 (13:00 2018/01/01)

(13) طلعة الشمس، شرح الأصول، نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحقيق مجموعة من العلماء، تقدم عبد الله ربيع، 1434هـ/2012،

دار الكتاب المصري، ص 29

(14) الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان، ص 476.

1/ كتب الحديث عند الإباضية:

أحصى وَيَلْكُنْسُون للإباضية ثمانية مؤلفات حديثية بين شرح وترتيب، وحاشية⁽¹⁵⁾، وهي:

1. مسند الرَّبيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي (80هـ-175هـ)
2. آثار الرَّبيع بن حبيب (تشمل الفتيا، ومرويات ضُمام بن السَّائب (ت بين 100 هـ/ 150 هـ))
3. ترتيب المسند لأبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني⁽¹⁶⁾ (570 هـ/ 1174م)
4. شرح مسند الرَّبيع بن حبيب لنورالدين عبد الله السَّالمي⁽¹⁷⁾ (1284هـ - 1332هـ/ 1867م - 1914)
5. ترتيب التَّرتيب محمد بن يوسف اطفيش⁽¹⁸⁾ (1332هـ/ 1914م)
6. حواشي التَّرتيب لأبي ستة القصبي⁽¹⁹⁾ (1088هـ/ 1677م)

(15) الحديث عند الإباضية، بحث عن التقريب بين الإباضية ومذاهب السنة : جون كرافن ويلكنسون، ترجمة بكير أولاد باهون، الجزائر
john c wilkinson, "Ibadi hadith: an essay on normalization," Der Islam, vol. 62, pt.2 ، 1، 1987/02/11
(1985)

(16) يوسف بن إبراهيم بن مناد السُّدْرَاتِي الوَارِجَلَانِي (أبو يعقوب)، (و: ~ 500هـ / 1105م - ت: 570هـ / 1175م)، علم من أشهر علماء الإباضية بالمغرب، ترك بصمات بارزة في التراث الإباضي خصوصا، والمكتبة الإسلامية عموما، أقام بقرطبة سنين عدداً، وحصل منها مختلف العلوم النقلية والعقلية، ومن مؤلفاته: "الدليل والبرهان لأهل العقول": وهو في أصول الدين وعلم الكلام، "العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف"، "مرج البحرين" في علم المنطق، وهو في آخر كتاب الدليل والبرهان، شرحه الشيخ عبد العزيز الثميني في كتاب: "تعاضم الموجين في شرح مرج البحرين"، ترتيب مسند الزبيد بن حبيب، كانت وفاته في سنة 570هـ/1175م، ودفن بمسقط رأسه سدراته. معجم أعلام الإباضية، ص 4/1010-1015، رقم الترجمة: 1049.

(17) **نور الدين السالمي:** هو العلامة المحقق المجتهد نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، وُلد بالحقوقين من أعمال الرُّستاق، التَّابعة لسلطنة عُمان، عام 1286هـ/ 1869م، أسهم في نخضة عُمان العلمية، من آثار السالمي: شرح طلعة الشَّمس على الألفية في علم أصول الفقه، بحجة الأنوار شرح أنوار العقول في التَّوحيد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان في التَّاريخ، كتب الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة، شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمل، جوهر النِّظام في علمي الأديان والأحكام وغيرها من المؤلَّفات، توفي سنة 1332هـ / 1914م ودفن في تنوف بسلطنة عُمان. ينظر أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي، مشارق أنوار العقول، تعليق سماحة السيخ أحمد بن حمد الخليلي، تحقيق د. عبد الرَّحْمَن عميرة، ص 16/1 - 38.

(18) امحمد بن يوسف بن عيسى، اطفيش: المشهور " قطب الأئمة" (و 1237هـ / 1821م - 1332هـ / 1914م): ولد بمدينة غرداية، نشأ عصامياً، ولم يسافر للدراسة خارج بلده، ولما بلغ العشرين أصبح عالم وادي ميزاب، بلغ درجة الاجتهاد، له العديد من المؤلفات في شتى أنواع العلوم تربوا على ثلاثمائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع. معجم أعلام الإباضية، ص 4/835

(19) أبو عبد الله محمد بن أبي سطة القصبي السدويكشي الشهير بـ"المحشي" و (1022هـ / 1614م - ت: 1088هـ / 1677م): عالم جليل من أشهر علماء جزيرة جربة، له حواشي كثير لعدد كبير من الكتب.

(19:17 2018/03/25) /<http://www.tourath.org/ar/content/view/1448/41>

7. مختصر حاشية أبي سَنة القصبي على الترتيب لعبد العزيز بن إبراهيم التميمي⁽²⁰⁾ (1223هـ/1808م)

8. ترتيب محمد بن يوسف اطفيش لمدونة أبي غانم الخراساني²¹ (1332 هـ/1914م)

ونلاحظ من خلال ما سبق من ذكره من المصادر الإباضية في الحديث، والتي كان ويلكنسون على اطلاع عليها، نجده بالرغم من ذلك يعطي أحكاماً عامة، ويقرر أن لا حديث عند الإباضية، أو أن الإباضية قد اكتسبوا صياغة الحديث كلية من أهل السنة، ويتغافل أن أول مسند للإباضية يعود صاحبه للقرن الثاني الهجري. في هذه الدراسة لتطور الحديث اقتصر ويلكنسون على مسند الربيع بن حبيب، وترتيب المسند للوارجلاني لأنه بحسبه يمثل المنعرج في بداية صياغة الحديث عند الإباضي وفق المعايير السنية للحديث.

2: مسند الربيع بن حبيب:

يعتبر المسند من أهم كتب الربيع بن حبيب، والذي اشتهر بها، وكان مرتباً على حسب الأسانيد، إلى أن جاء الوارجلاني وأعاد ترتيبه على الأبواب الفقهية، وقد روى الربيع بن حبيب عن كثير من الشيوخ، إلا أن الرواة المشهورين في مسنده هو أبو عبيدة، وضمام وأبو نوح عن جابر بن زيد عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويضم المسند 749 حديثاً⁽²²⁾. ويرى ويلكنسون أن المأخوذ من الربيع بن حبيب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. الآثار

2. الفتيا

3. ما دونه التلاميذ.

وأضاف على ما سبق من مصادر الربيع ديوان جابر بن زيد الذي اعتبره لغزاً، لصعوبة تتبع أثره، والتأكد من وجوده.

وكذلك بالإمكان تتبع تلاميذ جابر بن زيد، الذين لا بد أنهم كانوا يدونون آراءه، أو بعضاً منها، رغم كره جابر

(20) عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد الله بن عبد العزيز، التميمي الملقب "بضياء الدين" و: 1130هـ / 1718م - ت: 1223هـ /

1808م)، علم من أعظم أعلام الإباضية، من بني يسحن بميزاب، نبغ في علوم اللغة العربية والشريعة والمنطق وغيرها، خاض مع شيخه معركة الإصلاح في المجتمع. من مؤلفاته نذكر: الأسرار النورانية وهو شرح لمختصر شرح رائية أبي نصر في الصلاة، التاج على المنهاج في سنة وعشرين جزءاً، التكميل لما أخل به كتاب النبل، كتاب النبل وشفاء العليل، معجم أعلام الإباضية، ص 532/3 - 536، رقم الترجمة: 555.

(21) بشر بن غانم الخراساني، أبو غانم (ق3هـ/6م)، إمام حافظ فقيه، من أهل خراسان، قدم إلى البصرة لتلقي العلم على يد علماء

الإباضية هناك، فدرس على يد تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت 145) وقيد عنهم سماعاً كتابه المشهور بالمدونة في أواخر القرن الثاني الهجري، ثم خرج من المشرق متوجّهاً إلى المغرب ليفد على الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ت 188-208هـ) ومعه مدونته المشهورة، عرف أبو غانم بتواضعه وحرصه الشديد على طلب العلم، ورجح المحققون أن الديوان المعروض من تأليفه، وتوفي بالتقريب سنة

205 هـ. (10:00 2018/03/16) <https://www.tourath.org/ar/content/view/116/41/>

(22) الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي (ق2هـ)، ط2، 1432هـ/2011م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ص 4.

لذلك⁽²³⁾.

وزاد المؤلف أنَّ من المصادر ما يوجد من الآثار في أجوبة ابن خلفون (ق6هـ) الذي حسب رأيه استشهد بمقاطع من كتاب أبي صفرة، والذي يعتبر هو ومدونة أبي غانم من أهم الكتب التي تحتوي آثارا عن الربيع بن حبيب⁽²⁴⁾ وجابر بن زيد.

3: آثار الربيع بن حبيب:

يذهب المغاربة حسب ويلكنسون إلى أنَّه لا علاقة بين مسند الربيع وفتاويه وآثاره، فكلًا الثلاثة منفصلة عن بعضها البعض، ولكن لم يذكر هل اشتملت هذه الآثار على بعض أحاديث استشهد بها الربيع في فتاويه، أو من خلال ما دُون تلامذته من بعض الأحاديث التي لم ترد في مسنده؟ وكذلك لا يمكن أن تكون آراء جابر بن زيد، حيث إنَّها آراء فقهية، ورجَّح أن تكون مدونة أبي غانم الخراساني التي تضم آثارا للربيع.

ويذهب ويلكنسون إلى الاعتقاد بشكل كبير أنَّ الديوان المعروض⁽²⁵⁾ كتبه نكاري⁽²⁶⁾، حيث إنَّ عبد الله الفرزاري الذي يتبعه الكوفيون قد ورد اسمه كثيرا في الديوان⁽²⁷⁾. وهذه المصادر على حسب إضافة إلى كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل، كانت متوفرة في زمن أبي يعقوب الوارجلاني.

⁽²³⁾ قضية تدوين الحديث أو آثار العلماء والنهْي عن ذلك ورد فيه كثير من التناقض بين الحث على التدوين والنهْي عنه، حيث إنَّه كما روي عن جابر بن زيد أنَّه كان يكره ذلك، فقد روي عنه من جهة أخرى أنَّه كان يحثُّ عليه فقد ورد في كتاب جامع بيان العلم وفضله أنَّ الربيع بن سعد قال: " رأيت جابر يكتب عند عبد الرحمن بن سابط " جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد البر (463هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، 1414/ 1994، دار الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ص 310/1

⁽²⁴⁾ يذكر ويلكنسون أنَّ البرادي في كتابه روى أنَّ للربيع كتابا يسمى حديث الربيع، وأنَّه غير ترتيب الوارجلاني، وعلَّق عليه وقال إنَّه خبر محيّر، إلا أنني راجعت كتاب البرادي، ولم أجد لهذا الكتاب ذكرا، إلا كلمة مسند الربيع، فلعلَّ الكاتب أشكل عليه الأمر.

⁽²⁵⁾ يرجَّح الكثير من الباحثين ومنهم الدكتور عمرو خليفة النامي فرضية كون الديوان المعروض من تأليف أبي غانم بشر بن غانم الخراساني صاحب المدونة، ذلك أنَّنا نجد نفس الرواة والمصادر الذين اعتمدتهم في مدونته، نجدهم في الديوان المعروض، وهذا الديوان يضمُّ أقوال قتادة وآثار الربيع ومرويات ضُمام، وكتاب النكاح والصلاة لجابر بن زيد، ونكاح الشَّغار لعبد الله بن عبد العزيز. ينظر

<https://www.tourath.org/ar/content/view/116/41/> (10:30 2018/03/16)

⁽²⁶⁾ النُّكار: وتسمى النُّكارية أيضا، جماعة انشقت عن الإباضية في المغرب الإسلامي زمن الإمامة الرُّستميَّة، وسميت كذلك لإنكارها إمامة عبد الوهَّاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 171هـ/ 787م. وعرفت باليزيدية نسبة إلى زعيمها أبي قدامة يزيد بن فندين البفري. معجم المصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة الثانية 2012/1433، ص 2/943.

⁽²⁷⁾ الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان، ص 545.

4: مرويَّات ضُمام بن السَّائب⁽²⁸⁾:

وفي سلسلة الرُّواة يذهب ويلكِنْسُون مذهباً غريباً حيث يرى أنَّ المغاربة سعوا في وضع أبا عبيدة خلفاً لجابر، عكس ما أراد سلمة بن مسلم العوتبي العماني من إغفال دور أبي عبيدة وإبراز الرِّبيع بن حبيب، فقد أُعطي لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في المغرب مكانة كبيرة، وجُعِل مباشرة بعد جابر بن زيد، وهذا النَّسق الذي سار على دأبه الوارجلاني.

إلا أنَّ ما يثير الانتباه ما ذكره ويلكِنْسُون أنَّ ضُمام بن السَّائب لا نجد له ذكراً في المسند إلا قليلاً، حيث يقول: "لابدَّ أنَّ ذلك أزعج أبا يعقوب الذي كان يعلم بالتحقيق كتاب ضُمام"⁽²⁹⁾ مع العلم أنَّنا نجد في آثار الرِّبيع، ومرويَّات الرِّبيع عن جابر عن طريق ضُمام، وحتى في المسند نجد له أحاديث رغم كونها معدودة، فمنها مثلاً: أبو عبيدة عن ضُمام بن السَّائب، قال بلغني عن ابن عباس يروي عن النَّبيِّ قال: "ليس على من مسَّ عجم الذنب وضوءٌ، ولا على من مسَّ موضع الاستحداد وضوءٌ".⁽³⁰⁾

ما الذي جعل أبا يعقوب ينزعج من وجود ضُمام على حسب رأي المؤلِّف، وهل هو من الذين يوصفون بالعدول؟ يعتقد المؤلِّف أنَّ مكانة أبي عبيدة عند أبي يعقوب الوارجلاني وعند المغاربة ككل عظيمة فلا يريدون أن ينازعه فيها أحد، فأبو عبيدة في المرتبة الثانية بعد جابر، ودخول ضُمام حسبه يعقِّد التَّرتيب الحديثي، والوارجلاني يريد أن يحافظ على سند قصير يعطي له قوة ومثانة، وبالتالي صحَّة الحديث، فلذلك لا نجد في ترتيب أبي يعقوب سوى ثلاثة أحاديث رويت عن ضُمام، واحتفظ أبو عبيدة ببقية الأحاديث فكان هو النَّاقِل الرئيسي.⁽³¹⁾

إنَّ هذه الحكم من ويلكِنْسُون يدلُّ على عدم معرفته لمنهج أبي يعقوب الوارجلاني في كتابه التَّرتيب، والذي يتعلَّق بترتيب مرويَّات الإباضية ومن بينها مرويَّات الرِّبيع بن حبيب.

والرِّبيع بن حبيب هو من ضبط منهجه في كتابه الجامع الصَّحيح، وليس الوارجلاني، فقد سعى الرِّبيع أن يحتفظ بالسَّند الثلاثي الذي يعطي قوَّة ومثانة للحديث، وهذا ليس بدعاً لأصحاب الحديث، فقد قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: "طَلَبُ الإسنادِ العَالِي سُنَّةٌ عَمَّنْ سَلَفٌ"⁽³²⁾، وقال ابن الصَّلَّاح في مقدمته: "الْعُلُوُّ يُبْعَدُ الإسنادَ مِنَ الخَلَلِ، لِأَنَّ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِهِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَقَعَ الخَلَلُ مِنْ جِهَتِهِ سَهْوًا، أَوْ عَمْدًا، فَفِي قَلَّتِهِمْ قَلَّةٌ جِهَاتِ الخَلَلِ، وَفِي كَثَرَتِهِمْ كَثَرَةٌ جِهَاتِ الخَلَلِ، وَهَذَا جَلِيٌّ وَاضِحٌ".⁽³³⁾

(28) ضُمام بن السَّائب: (ت بين : 100 و 150هـ)، من أبرز أئمة الإباضية، ومن التَّابعين، ولد في عمان، ونشأ في البصرة أين التقى بجابر بن زيد وتلمذ على يده، عاصر أبا عبيدة مسلم، ولقيا من الحجاج بن يوسف بلاء كبيراً، له روايات عن جابر بن زيد دونت في كتاب عرف بـ "رويات ضُمام بن السَّائب"، معجم أعلام الإباضية، 341/1 (نسخة الكترونية) المصدر نفسه، ص 546.

(30) الجامع الصحيح، مسند الرِّبيع بن حبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الدِّينية، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011، ص 30

(31) الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان، ص 546.

(32) علوم الحديث لابن الصَّلَّاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشَّهرزوري (ت 643 م)، تحقيق نورالدين عتر، ص 256

(33) المصدر والصَّفحة نفسهما.

كما أنَّ الرِّيع حَافِظٌ على الرُّواة المشهورين قدر الإمكان، فإذا كانت له أحاديث متشابهة رُويت من طرق عدَّة، فإنَّه يكتفى برواية واحدة وهي عن طريق أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وذلك تفادياً للتكرار، وبالتالي فإذا ورد نفس الحديث عن طريقين مختلفين، عن ضُمام وأبي عبيدة فإنه يكتفى بالرُّواية عن هذا الأخير، مع أنَّه لا بدَّ للإشارة أنَّ هنالك أحاديث رويت عن طريق ضُمام بن السائب في المسند إلا أنَّها قليلة، وقد بيَّنَّا ذلك سلفاً.

5: كتاب الترتيب للوارجلاني وأسباب تأليفه:

يرى ويلكنسون أنَّ من أهمِّ الأسباب التي دفعت أبا يعقوب بن يوسف الوارجلاني إلى تأليف كتاب الترتيب في الحديث، هو الضَّعف الذي لازم الإباضية في الحديث، كما أشار إلى ذلك سابقاً، حيث وجد الوارجلاني نفسه معوزاً في مواجهة أهل السنة، "فإذا أراد أن يكون للإباضية حديث فلا بدَّ أن يكون لهم جامع خاص، ولا يكون مشتقاً من الجامع السُّنِّي"⁽³⁴⁾ كما أنَّه إذا أراد الإباضية نقد حديث أهل السنة فلا بدَّ من الالتزام بمعاييرهم.

فلذلك كان عمله في مسند الرِّيع بن حبيب ترتيبه إلى أبواب بعد أن كان مشوشاً، وتقديمه وفق مقاييس أهل السنة في قبول الحديث.

واعتبار أنَّ الإباضية يشعرون بالنقص أمام أهل السنة لضعفهم في الحديث مناف للحقيقة التاريخية، فإنَّ الإباضية لهم مسندهم في الحديث كما لغيرهم من المذاهب إلا أنَّه كانه مرتباً على المسانيد، وكان أول مساهم في الحديث هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (150هـ) نفسه حيث يذكر الشماخي أنَّه "تعلَّم العلوم ورَتَّب روايات الحديث"⁽³⁵⁾ ولما كان البحث صعباً في إيجاد حديث في المسند، جاء الوارجلاني ورَتَّب (570 هـ) على الأبواب الفقهيَّة وقسَّمه إلى خمسة عشر كتاباً،⁽³⁶⁾ وبعد أن ظهرت الصَّناعة الحديثية وتطوَّرت على مرور الزمن، لم يجد الإباضية بأساً في الاستفادة من هذا الفن، فلا إشكال لديهم من الأخذ عن غيرهم، كما لا ضير ولا نقیصة عندهم من الأخذ بأحاديث الجامع الأخرى إذا كان الحديث صحيحاً ولا يخالف القرآن الكريم.

وهذا العمل في ترتيب الجامع لم يكن مقتصرًا على المدرسة الإباضية فقط، فقد قام السُّنْدِي (1257هـ) الذي جاء بعد الوارجلاني بسنوات عدَّة بترتيب مسند الشافعي بعد أن رَتَّب مسند أبي حنيفة من قبله، وقد بيَّن أنَّ الدَّاعي لذلك هو صعوبة البحث عن حديث عند تأصيل مسألة فقهيَّة، لذلك رَتَّب على الأبواب الفقهيَّة⁽³⁷⁾.

لذلك فإنَّ كتاب الترتيب للوارجلاني يعتبر بالنسبة لويلكنسون من أعظم أعمال التي تمسُّ تطوُّر الحديث عند الإباضية، إذ أنَّ أبا يعقوب سعى لتقدم هذا العمل على النِّسق السُّنِّي قدر الإمكان، ولكن هل نجح في ذلك، أم أنَّه حسب المؤلِّف وقع في التَّلَفِيق ليؤسِّس هذا العمل الكبير؟

ونظراً لأهمية الكتاب فقد لقي عناية معتبرة من قبل المحقِّقين والشرَّاح وأهمُّها :

1. حاشية الترتيب لأبي ستَّة القصبي، والتي طبعت في مطابع زنجبار التي أسَّسها الإمام برغش بن سعيد

⁽³⁴⁾ الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان، ص 543.

⁽³⁵⁾ كتاب السَّير للشماخي، 78

⁽³⁶⁾ رواية الحديث عند الإباضية (دراسة مقارنة)، صالح بن أحمد بن سيف البوسعيدي، ص 44 (نسخة إلكترونية).

⁽³⁷⁾ مسند الشافعي ترتيب السُّنْدِي، ص 5، نسخة إلكترونية.

(1837م-1888م).

2. مختصر حاشية أبي سَنة القصبي على الترتيب لعبد العزيز بن ابراهيم الثميني .

3. ترتيب الترتيب لمحمد بن يوسف اطفيش.

1/ ملاحظات ويلكنسون على ترتيب مسند الربيع:

يعطي ويلكنسون بعض الملاحظات على الجانب التاريخي، وما يتعلّق بالرواية دون الخوض في مضامين الحديث:

الأولى: يعتبر مواد الترتيب خليطاً من الأحاديث التي هي شاملة لجميع المواضيع، ولا جديد فيها، إذ أننا نجد معظمها مبثوثاً في أغلب كتب السُنّة، إلا إذ أُستثنى منه الجزء الثالث الذي يتعلّق بالجانب السياسي كالإمامة، فهو يحتوي على مرويّات للخوارج على حسب، ودحض أفكار القدرية والمبتدعة.

الثانية: تاريخ وفاة الربيع بن حبيب (170 هـ أو 175 هـ)، تضعه وفق الباحث بحقّ أمام إشكال تاريخي بالنسبة للرواية عن بعض الأشخاص، حيث إنّه يحتوي على أسانيد تصنّفه في جيل لاحق بعد وفاته.

ومن بين الرواة الذين استخرجهم المؤلّف ولكن جاؤوا بعد الربيع بن حبيب، يعني أنّهم أصغر من الربيع:

الراوي	تاريخ الوفاة
بشر المريسي ⁽³⁸⁾	218/138 هـ
فضل بن عياض ⁽³⁹⁾	187/107 هـ
عمار الثوري (ابن أخ سفيان الثوري)	182 هـ
واقب بن الجراح	196 هـ
أسباط بن محمد	200 هـ
ابن عليّة	194 هـ

يذهب ويلكنسون إلى اعتبار أنّ هذا اشكال حقيقي بالنسبة للورجلاني، إذا علمنا أنّ تاريخ وفاة هؤلاء الرواة كانت بعد الربيع، فإنّ هذا يجعله في وضع إمكانية اللّقاء معهم مستبعدة أو مستحيلة، فلا يمكن إذن أن يكون قد التقاهم أو روى عنهم.

وهذا ليس تعليلاً وجيهاً من الباحث، ذلك أنّ احتمال لقائهم والرواية عنهم واردة، حيث أنّهم عاصروا بدون شكّ الإمام الربيع بن حبيب، أمّا كونهم أصغر منه أو توفوا من بعده فهذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر، ولا ضير في ذلك في رواية الحديث، فقد ورد في كتاب السيوطي أمثلة عن الصحابة الذين يروون من التابعين، والتابعين الذين يروون عن تابع التابعين⁴⁰، كما رجّح هذا كذلك الباحث صالح البوسعيد⁽⁴¹⁾.

(38) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، سنة النّشر: 1422 هـ / 2001 م ص 200/10

(39) المصدر نفسه 2001 م، 8 / 423

(40) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي (849 هـ - 911 هـ)، حققه أبو قتيبة نظر محمد الفارابي،

الطبعة الثانية 1415، بيروت، مكتبة الكوثر، ص 714 (نسخة الكترونية). http://www.riyadhalelm.com/book/10/79_tdrib.pdf

ويرجح ويلكنسون تاريخ وفاة الربيع سنة 175هـ، وهو ما ذهب إليه أيضا المستشرق لويس ماسينيون (ت 1962م)، لأن هذا أنسب لإمكانية لقاء الرواة بينما يستبعد بشكل كبير أن يكون قد توفي بتاريخ أبعد مما ذهب إليه بعض الدارسين، لأنه يعتبر هذا مبالغة كبيرة، حيث إنه تولى خلافة الحركة الإباضية بعد أبي عبيدة، وانتقل إلى عمان، وساهم في تهيئة الانقلاب على حكم الجلندي، الذي لم يشهده وتوفي في غطفان.⁽⁴²⁾

الثالثة: يعتبر الإباضية أن سلسلة رواية الحديث عندهم متينة، وهي أنقي وأخضر سلسلة، وهذا رد على اتهامهم في المغرب بالخماسيين أي المذهب الخامس، وبالنسبة للإباضية هذا استهزاء بهم، وهم يردون بتذكير خصومهم أن لديهم أقدم مجموعة من الأحاديث فقد رووا عن إمامهم الأول جابر بن زيد (ت 93هـ)، والذي روى عنه أبو عبيدة (ت 150هـ) والذي بدوره أخذ عنه الربيع (170هـ)، وبالتالي فإن مذهبهم أول المذاهب نشوء ولم يأت لاحقا للمذاهب الأخرى. ويعود مرة أخرى ويلكنسون في محاولة دحض دعوى الإباضية، ويقول "وأعتقد أن خط الإباضية لا يصمد أمام أي اختبار عن قرب"⁽⁴³⁾

كما يعتقد أن هنالك ثغرة لا بد من معالجتها في سلسلة الأحاديث الإباضية، والسؤال الذي يعيد طرحه لماذا أقصي ضمام من سلسلة أحاديث الإباضية رغم أنه يسبق أبا عبيدة تاريخا وعلمًا. ويزعم ويلكنسون إنه يتتبع مسار التاريخ الإباضي، يتبين أن جابراً كان الإمام الأول للمذهب الإباضي، وهو تلميذ للصحابي الجليل عبد الله ابن عباس، ومن أبرز تلامذة جابر بن زيد نجد ضمام بن السائب، جعفر السّمّاك، صُحار العبدى و أبا نوح صالح بن نوح الدّهان، كَوْن هؤلاء التلاميذ مدرسة خاصة واتصلوا بعبد الله بن إباح سنة 64هـ إثر المأزق التي واجهته الدعوة الإباضية فيمن يتولى زعامتها السياسية، ثم جاء أبو عبيدة والربيع بن حبيب وطوّروا تلك المدرسة، من حلقة خاصة إلى دعوة شاملة.

وما جعل الإباضية حسب رأي ويلكنسون يركّزون على أبي عبيدة خلفا لجابر ثم الربيع من بعده رغم كونه أصغر من أبي عبيدة، هو محاولة منهم لإقصاء ضمام لعدم تناسقه مع منهج الحركة،⁽⁴⁴⁾ وهذا ما جعل الشكوك تُثار حول روايات ضمام التي اندثرت.⁽⁴⁵⁾

إذن المدرسة الإباضية حسب الباحث أرادت أن يكون الربيع بن حبيب هو الوريث الشرعي للعلم نقلا عن أبي عبيدة، والتي تلقاها عن جابر، وهو نفس الطريق الذي سلكه تسلسل الأئمة في المذهب. ونستغرب لماذا يركّز ويلكنسون على ضمام، ويقدم احتمالات دون دليل أو تبرير، بأن ضماما أقصي عن المذهب

(41) رواية الحديث عند الإباضية، ص 79

(42) الحديث عند الإباضية، ص 4.

(43) المصدر نفسه، ص 5. ويؤكد ويلكنسون في موضع آخر إن الغرض من طرح الأسئلة ليس التشكيك من صحة الأحاديث، إنما هو محاولة

الإجابة على بعض الأسئلة العالقة "ملاحظتي هذه ليس المراد منها التشكيك في صحة مجموعة الأحاديث، ولا السؤال من أين أتت، إنما

الغرض الجواب عن بعض الأسئلة وهو غرض البحث" ص 6

(44) لم يتطرق ويلكنسون إلى أسباب إقصاء ضمام.

(45) الحديث عن الإباضية، ص 6

الإباضي، وكيف تمّ؟ وتحت أيّة ذريعة؟

فإذا كان هو من زعم إنّ ضُماماً قد أقصي عن المذهب فلا بدّ أن يبيّن الدليل؟ هل عدم رواية الرّبيع عن ضُمام هو دليلٌ على إقصائه؟

ثمّ لا بدّ أن نذكر أنّ الرّبيع قد روى بعض الأحاديث عن ضُمام بعضها موجود في المسند وبعضها لم يرفقه به، وأحتمل كما ذكرنا ذلك سالفاً أنّ منهجه يقتضي الاكتفاء برواية واحدة حال تعدّد طرق الرواية.

والإشكال الثاني الذي أراد أن يطرحه ويلكّنسون هو السؤال عن مصدر الوارجلاني لمادة كتابه الترتيب؟

ب/ مادة كتاب الترتيب لأبي يعقوب:

من أجل معرفة المرحلة بين وفاة الرّبيع بن حبيب وكتابة ترتيب الحديث لا بدّ من النّظر في المصادر العمانيّة والمغربيّة. فبداية من المصادر العمانيّة أين كان ينشط الإباضيّة. كانت عملية جمع الحديث في البصرة وعمان، فلا بدّ أنّ الفقه العماني قد وظّف جملة من الأحاديث في مسار تطوّره عبر التاريخ، ورّجّح ويلكّنسون أنّ تلك الكتابات الفقهيّة كانت تأخذ من كتب الحديث الشّنيّة، وقد طغت على كثير من الكتب، وهذا على حسبه قد يعود إمّا لجهلهم عن كتاب الترتيب، أو أنّهم لم يضعوا ثقتهم في مسند الرّبيع بن حبيب.

وهذا أيضاً دعوى بدون دليل يقدّمها لنا الباحث، فأحياناً يذكر إنّ الإباضيّة لا يأخذون من كتب غيرهم تحت تهمة الانغلاق والتّعصّب، وأحياناً أخرى يقول إنّهم تركوا مسند الرّبيع واستعانوا بأحاديث غيرهم لعدم ثقتهم في مسندهم، وعندما نرجع لبعض كتب الفقه العمانيّة من مجامع وغيرها نجد فيها أحاديث للرّبيع بن حبيب وغيره، ولكن غالبها دون اسناد، فهل اطّلع على كل المجاميع والكتب ليصدر حكمه؟⁽⁴⁶⁾

وينبغي التّفريق بين كتاب الرّبيع الذي ذكرته بعض كتب السّير، وبين آثار الرّبيع الذي يحتمل أن يكون لأبي صفرة عبد الملك بن صفرة الذي روى آثار الرّبيع عن ضُمام عن جابر.⁽⁴⁷⁾

يميل الباحث إلى الاعتقاد بقوة أنّ مادة كتاب الترتيب هو كتاب أبي صفرة عبد الملك بن صفرة الذي أعاد أبو يعقوب ترتيبه، وليس بالضبط هو كتاب الرّبيع، حيث يقول: "في اعتقادنا أنّ مادة أبي يعقوب بن يوسف الوارجلاني كانت موجودة في المغرب، وأرجّح أنّ أبا يعقوب كان قد استقى مادته من كتاب أبي صفرة وهو الترتيب الذي عمله"⁽⁴⁸⁾، لذلك نحدّه يرجّح في موضع آخر ما ذهب إليه الشّماخي باعتبار أنّ كتاب أبي صفرة هو نفسه كتاب آثار

⁴⁶ ومن ذلك مثلاً حديث " غيبة المسلم تفسد الصّائم وتنقض الوضوء " في كتاب الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد لمحمد بن سعيد الكدّمي، 1406هـ/1985م، 48/1، وقد ورد في الجامع الصحيح مسند الرّبيع بن حبيب، أبو عُبَيْدَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " الْغَيْبَةُ تُفْطِرُ الصَّائِمَ وَتَنْقُضُ الْوُضُوءَ"، حديث رقم 107 الجامع الصحيح مسند الرّبيع بن حبيب، ص 29.

⁽⁴⁷⁾ المصدر نفسه، ص 12

أولاً: مادة آثار الربيع :

يَبْنِ وَيَلْكِنُسُون من خلال دراسة عمرو خليفة النَّامي اللَّيبي (1940م- 1986م) أنَّ مادة آثار الربيع قد تعود إلى جابر بن زيد، فمن المعروف أنَّ هذا الأخير كان مفتياً ومعلماً في البصرة، وكان له عدد من التلاميذ لا يستهان به، ورغم أنَّ جابراً كان يكره الكتابة عنه، إلا أنَّه في غالب الأحوال لابدَّ أن يكون عدد من تلامذته يدوّنون عنه، ولو لم يكن ذلك في حضرته، أي قد يكون بعد عودتهم لديارهم، ومن بين هؤلاء نجد أبا قتادة بن دعامة السدوسي، وضُمام بن السائب، وبالتالي فإنَّه يحتمل أن تكون آثار الربيع تتكوّن من جزئين:

1: الآثار الخاصّة المتعلقة بفتاوى الربيع: مما يدلُّ على أنَّه من عمل أبي صفرة، الروايات الأولى منه تبدأ: حدَّثنا أبو صفرة عبد الملك بن صفرة⁽⁵⁰⁾، قال حدَّثنا الهيثم عن الربيع بن حبيب عن ضُمام بن السائب عن جابر". ثم يحتزل السند في صفحات أخرى، ولا نرى أبا عبيدة إلا قليلاً مما يُعطي انطباعاً أنَّه سمع جابراً وهو صغير.⁽⁵¹⁾

2: فتاوى جابر بن زيد: حيث إنَّ الكتاب جمع أقوال وأفعال جابر.

يستنتج ويَلْكِنُسُون :

كلُّ الكتابات والمواد المتعلقة بآثار الربيع قد سجّل على أبعد تقدير بواسطة أبي صفرة إمّا مباشرة أو عن طريق الهيثم بن عدي (ت206).⁽⁵²⁾

ثانياً: ديوان جابر:⁽⁵³⁾

اشتهر ديوان جابر الذي يضمُّ آراءه وفتاويه بأنَّ نسخة منه كانت لدى هارون الرّشيد في مكتبة بغداد، لكنّها أُحرقت مع المكتبة، وهناك روايتان تفيدان أنَّ الجماعة الإباضية في البصرة كانت قد امتلكتها:

فالرواية الأولى: تروي أنَّ أبا عبيدة امتلك نسخة منه ثم انتقلت إلى الربيع ثم إلى أبي سفيان ثم إلى ولده أبي عبد الله محمد بن محبوب، ثم لا يذكر إلى أين آلت، وقد تكون هي النسخة التي استنسخها منها نفّاث بن نصر.

الرواية الثانية: هي النسخة التي استنسخها نفّاث بن نصر، وأتى بها إلى شمال إفريقيا، واشتهر عنه أنه أتلّفها بعد أن

(49) كتاب السّير، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشّماخي، تحقيق أحمد بن سعود السيّاتي، سلطنة عمان وزارة التراث القومي

والثقافة، 1992/1412، الطبعة الثانية، 1/ 109. ذكر ويلكنسون "أنَّ الشّماخي قال إنَّه بعد الربيع إلى عهد أبي صفرة لا يوجد ما أُلّفه الإباضية إلا كتاب أبي صفرة" ولم أجد هذه الإشارة في كتاب الشّماخي.

(50) أبو صفرة عبد الملك بن صفرة من علماء النّصف الثّاني من القرن الثّاني الهجري، يُفترض أنَّه عاش بين (170 هـ و 230 هـ)، من شيوخه، أبو سفيان محبوب بن الرحيل، و أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي، ومن تلاميذه: محمد بن محبوب، ومحمد بن جعفر، من آثاره: رواية وتدوين آثار الربيع بن حبيب عن ضُمام بن السائب عن الربيع، جامع أبي صفرة. ينظر كتاب من جامع أبي صفرة وفقهه بتعليقات أبي عبد الله وبي سعيد وآخرين، جمع وترتيب وتعليق، إبراهيم بن علي بولواح، الطبعة الأولى 2012/1433، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ص 19 - 24.

(51) الحديث عند الإباضية، ص 15.

(52) المصدر نفسه، ص 15.

(53) ورد في السّير الإباضية ذكر كتابين مهمين الأوّل هو ديوان جابر والثّاني هو الدّيوان المعروف، يذهب ويلكنسون إلى الاعتقاد أنَّ الدّيوان المعروف قد يشمل أيضاً ديوان جابر، لأنّنا نجد كل آراء جابر وفتاويه في الدّيوان المعروف الذي يشمل كذلك آراء علماء آخرين.

ثار على الرُستميّين.

يفترض ويلكنسون أنّ الديوان هو تنقيح لفتاوى وآراء جابر، وهذا ما ذهب إليه النامي الذي يعتبر أنّ الديوان المعروض قد يكون نسخة منه، إلا أنّ الإشكال المطروح في الديوان المعروض هو أنّنا لا نجد الحديث مباشرة عن جابر، إنّما عن طريق أبي عبيدة أو الرّبيع.⁽⁵⁴⁾

يصل ويلكنسون إلى هذه النتيجة، ويجد نفسه محرجا في عدم حلّ إشكاله وهو عدم وصوله إلى مصدر معلومات أبي يعقوب، إذن من أين جاء الوارجلاني بأحاديثه التي نسج من خلالها كتاب التّرتيب؟

وإذا كانت هذه النتيجة التي توصل إليها ويلكنسون، فيفترض أن ما ذكره ليس ديوان جابر الذي تكاد تجمع الأخبار على فقدانه كما ذكر ذلك سلفا، وإنّما الديوان الذي ذكره هو الديوان المعروض والذي يعتقد أنه من تأليف أبي غانم الخرساني، والذي يضمّ روايات مختلفة من مراجع متعدّدة، فنجد فيه روايات لقتادة بن دعامة السّدوسي، كما نجد فيه روايات للرّبيع بن حبيب، حيث القسم الأول يضمّ آثار الرّبيع من مرويات ضُمام، أمّا القسم الثّاني فيضمّ فتيا الرّبيع بن حبيب.

أمام هذا الإحراج، بعد بحث مضن، لا يجد ويلكنسون إلا أن يلقي تهمة عظيمة على عالم كبير كالوارجلاني حيث يتّهمه بالتزوير والتّلاعب، وباليته ترك الباب للباحثين، ليستزيدوا في تقصّي الحقائق، لكنّه استعجل الأمر بعد أن نفذ صبره في البحث حيث يقول: "أعتقد أنّ أبا يعقوب قد تصرّف في الوثيقة، والذي ألجأه إلى هذا كون وثائق كانت تحت تصرّفه"،⁽⁵⁵⁾ ويررّ الباحث ببساطة إطلاق هذه التّهمة أنّه لم يجد من أيّ مجموعة اشتقّ الوارجلاني أحاديث جابر بن زيد.

ورغم أنّه ذكر وجود ديوان جابر فلم يحتمل أنّ الوارجلاني قد اطّلع عليه، واقتبس منه بعض الأحاديث التي تعود لجابر والتي كتبها بنفسه.

ويزعم ويلكنسون أنّه من المحتمل أنّ اسم الرّبيع قد تمّ تقديمه من أصحاب السّير لمُدّة متقدّمة لتوحي أنّ الآثار من إنتاجه.⁽⁵⁶⁾

ولكن يعتقد المؤلّف أنّ بعض الإضافات هي "انتحال فاضح لا أقلّ ولا أكثر"⁽⁵⁷⁾ من بعض كتب السّنة كمسند ابن حنبل، حيث اعتبر أنّ الإباضية جنوا على مسندهم أكثر مما قدّموا له خدمة من خلال تربيته وتقديمه، مما حدى بالمستشرق إلى القول صراحة "هذا الجامع [مسند الرّبيع] لا محلّ له ولم يخدم الإباضية حقّا"⁽⁵⁸⁾

وحسبه فإنّ الإباضية حاولوا تمثّل الأصول الحديثية والعودة إليها من خلال السّعي إلى المطابقة مع المعايير السّنية، مما يدفع بالنّهضة في الفكر الإباضي، وذلك تحت تأثير ضغوط الحركة السّلفية التي تتزعّم وتحتكر الصّلة بالسّلف الصّالح.

حيث يعتقد ويلكنسون أنّ الإباضية يرون في مسند الرّبيع بن حبيب من أهمّ ركائز مذهبهم لذلك اعتبره السّالمي أول كتاب بعد القرآن، وأضاف الشّيخ اطفيش أصحّ الأحاديث هي التي رواها الرّبيع بن حبيب، ولا ينكرون الجامع السّنية بل

⁽⁵⁴⁾ الحديث عند الإباضية، ص 18.

⁽⁵⁵⁾ المصدر نفسه، ص 20.

⁽⁵⁶⁾ المصدر نفسه، ص 18.

⁽⁵⁷⁾ الإباضية أصولها وتطورها المبكر في عمان، ص 547.

⁽⁵⁸⁾ المصدر نفسه، ص 547.

يعتبرونها لاحقة بعد مسندهم.

ويعتبر ويلكنسون أنه بظهور هذا الجامع يكون المذهب الإباضي قد اكتملت جوانبه الأساسية، إلا أنه رجي أن لو كان الإباضية تركوا جامعهم في حالته الأولى لخدمهم أكثر مما حاولوا أن يصبغوه بمعايير أهل السنة فيقول: "وتبين النصوص المحفوظة أصالة كان أفضل الحفاظ عليها بدون محاولة التطبيع" ويقصد بالتطبيع اتباع معايير أهل السنة في رواية الحديث.

وفي حقيقة الأمر لابد من معرفة أن كتاب الترتيب الذي جزأه الوارجلاني إلى أربعة أجزاء، يشتمل على المسند على جزئيه الأولين وفي الجزء الثالث نجد مرويات الربيع بن حبيب في مواضيع عقدية، ويرجح الباحث صالح البوسعيدي أنها منفصلة عن المسند، إذ أن أسلوبهما متغايران.⁽⁵⁹⁾

وأما الجزء الرابع يتعلق بمرويات لأبي سفيان محبوب بن الرحيل ومرويات الإمام أفلح التي رواها عن أبي غانم الخرساني ومن أبي يزيد الخوارزمي الإباضي.⁽⁶⁰⁾

6: عمل الوارجلاني كنموذج للتطبيع الإباضي:

يعتبر ويلكنسون أن التقيد الإباضي بالمعايير السنية في رواية الحديث، كانت بدايته مع المغاربة وبالضبط مع أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، وكان يقابله بالمشرك القلھاتي، كان كلا الرجلين انبريا لمحاولة بعث مجد الإباضية بعد أن أصيبت حركتهم بعدة نكسات منذ انهيار الدولة الرستمية، ودخول عمان في حرب أهلية، وانحصار الإمامة الإباضية بعمان في المناطق الداخلية، أمام هذه التقهقر لم يكن للإباضية من بد سوى أمرين:

1/ أن تنطوي على نفسها، وتتجاهل المعارضة التي تدعو إلى الانفتاح على المذاهب الأخرى، وتبرأ من كل من ينظر إلى كتب المخالفين.

2/ أن تفتح على كتب أهل السنة، وترتب شؤون بيتها، ثم تنظر خارجها لتواجه الخصوم.

يعتقد ويلكنسون أن الوارجلاني اختار الطريقة الأخيرة، ولا يستغرب إذ كليهما عاشا في بيئات علمية، واحتكا بالثقافات والشعوب والمذاهب الأخرى، فالوارجلاني درس في قرطبة، أمّا القلھاتي فكان سكنه بمحاذاة الميناء العماني، مكان التقاء السفن التجارية الهندية في عمان.

7: الملاءمة الإباضية للأصول المتعارف عليها عند السنة:

يعتبر ويلكنسون أن جابر بن زيد قد تم تثبيته بالقوة من قبل المحدثين الإباضيين ليبرر قوة الأحاديث عندهم، وليكون الصلة مع الصحابة، ولكن محاولة إبعاد ضمام، لأسباب لم يذكرها الوارجلاني، جعل الإباضية يحاولون سدّ هذا الفراغ بين جابر الذي توفي سنة (93هـ) وأبي عبيدة الذي أرادوا أن يجعلوه كامل التلمذة عند جابر، والذي لا يمكن أن يكون قد روى عنه الكثير، لأنه التقى جابرا في عُمر السنتين أو السبعين وأبو عبيدة لا يزال صغيرا.⁽⁶¹⁾

ويعتقد ويلكنسون أن تسلسل جابر وأبو عبيدة لم يكن ليقبله علماء محترمون لعدم إمكانية ذلك، وأن سعي الإباضية

⁽⁵⁹⁾ رواية الحديث عند الإباضية (دراسة مقارنة)، صالح بن أحمد بن سيف البوسعيدي، ص 76

⁽⁶⁰⁾ المصدر نفسه، ص 77

⁽⁶¹⁾ الحديث عند الإباضية، ص 27.

لتصوير ذلك لم يجلب إلا التَّصْنَعُ للعالم الإباضي.⁽⁶²⁾

وهذا غريب من ويلكُنْسُون الذي يضع قضيته الأولى ضُمام بن السائب الذي يعتبر أنه أفضي عن المذهب رغم تتلمذه على جابر بن زيد، ويتغافل عن كون أبي عبيدة كان صنو ضُمام في أخذهم العلم على يد جابر. ولقد ساءرت هذه العملية أيضا محاولة وضع مجموعات من الفتاوى، مثلما وقع للإمام عبد الوهَّاب بن رستم في كتابه في الفتاوى، وكان التشجيع على التدوين من قبل الدولة الرُستميَّة في المغرب، ساهم في انتشار المؤلفات. إلا أنَّ عُمان التحقت متأخرة بحركة التأليف، حيث كان ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. وذهب ويلكُنْسُون إلى أنَّ التأليف في البداية كان هو نقل من مواد محفوظة لتدوّن خشية الضياع والنسيان، والكثير منها في شكلها البدائي، والآخر عرف الترتيب.

نصوصها الأساسية كانت القرآن الكريم والسُّنة المشهورة المعمول بها، رغم عدم وجود الأسانيد، كان ثقتهم أنهم كانوا يروون من صحابي جليل هو ابن عباس.

ولا تخفي الكتابات الإباضيَّة تأثرها بكتابات الآخرين من أهل السُّنة ومحاولة النسج على نسقها، ومحاولة الخروج من الانغلاق على الذات، وذلك من أجل تقدس الإباضيَّة كمذهب يلتزم بمعايير اتفقت عليها الأمة.

ولكن مما سبق يبدو أنَّ هذا لم يرق للباحث، فاعتبر هذا الانفتاح من الإباضيَّة كالجري وراء سراب، بل تقويض أصالة المذهب الإباضي فيقول "وللأسف فقد قبلوا بالمنهاج الأساسي لمخالفهم"⁽⁶³⁾

من خلال ما سبق يعتبر ويلكُنْسُون أنَّ انسياق الإباضيَّة وفق معايير غيرهم، جعلهم يُخرجون مؤلفاتهم على نسق جديد، بحيث أخذوا يلتزمون بموازين الأمة ويقلدونها في عدَّة قضايا، وكانت هذه الحركة سابقة في المغرب لاحتكاكهم بتيارات مختلفة وخاصة منهم المالكيَّة، ويتمثَّل نموذج ذلك في العمل الفقهي لعمر بن فتح (ت 896/283)، ووصلت متأخرة بعد عشرة سنوات أو أكثر إلى عُمان تحت تهديد التَّمُدُّد الشَّافعي على حساب الإباضيَّة، ونراه في عمل ابن جعفر الأزكوي في جامع الفقه، الذي رغم ذلك لا يزال يحتفظ بالعمل التقليدي في طريقة السُّؤال والجواب، مما يدلُّ على أنَّ التَّحوُّل في عمان كان بطيئا.

وفي التَّفاسير يلاحظ ويلكُنْسُون التَّأخُّر الإباضي في الاستشهاد بالحديث وفق المعيار السُّني، وذلك ظاهر في تفسير هود بن محمَّد الهواري فيقول "ولكن مرَّة أخرى لا نجد فيه أي أثر للإسناد الرُّوائي في هذا العمل"⁽⁶⁴⁾

الخاتمة:

إنَّ ما يمكن اعتباره خاتمة لهذه الدِّراسة في تطوُّر الحديث، أنَّ الإباضيَّة في مرحلة جمعهم للحديث كانت المرحلة الشَّفوية هي السَّائدة وأنَّ التدوين لم يكن بشكل واضح حتى عهد الرِّبيع بن حبيب، والذي وقعت فيه حسب ويلكُنْسُون فرضية ملابسات إقصاء ضُمام بن السائب لاعتبارات مذهبية غير واضحة.

⁽⁶²⁾ المصدر نفسه، ص 27.

⁽⁶³⁾ الحديث عند الإباضيَّة، ص 30.

⁽⁶⁴⁾ حللنا هذه المسألة في حديثنا عن التَّفاسير الإباضيَّة في المبحث الأول. المصدر نفسه، ص 31.

وفي عهد الوارجلاني وأمام التمدد السني في أماكن التواجد الإباضي في المشرق والمغرب، وجد الإباضية أنفسهم مجبرين على تقديم مذهبهم وفق المعايير المتعارف عليها عند الأغلبية السنية، فبدأوا يصوغونها وفق قواعدهم، وعلى حسب الباحث كانوا أحيانا مضطرين للتلفيق في بعض سلاسل الحديث للإيهام أنها متصلة.

وفي هذه الدراسة التي نستشف منها أن ويلكنسون كان يطلق الأحكام دون أن يقدم عليها دليلا تاريخيا واضحا، رغم أنه كان يقول إن الإباضية كانوا ينقلون الأحاديث دون الأسانيد بالطريقة القديمة، ظنا منهم أن القارئ على علم مسبق بالسند، أو على القارئ تحمل عبء البحث عن الأسناد، وهذا ما كان سائدا في العصر الأول، إلى بداية عهد الفتنة فيستعملون عبارة، "رؤي عن النبي أنه قال..". أو "ورد في الأثر.."، وهي نفس الطريقة القديمة.

وهذه الدراسة تبين عدم اضطلاع الباحث في مجال الحديث رواية ودراية وفي السير الإباضية خاصة، فقد أصدر جملة من الأحكام دون دليل موضوعي فمن بينها مثلا أنه نفي التقاء شخصيات والرواية عن بعضهم البعض، دون بيّنة، رغم أن التاريخ يثبت عكس ذلك، وهذا راجع إلا لتثبيت شك افترضه في بداية بحثه.

وقد استقصينا العديد من تناقضات الباحث بين دراساته المختلفة، فمن بينها مثلا، اعتبار أنه لم يكن هناك تدوين في الفترة المبكرة للإسلام، ثم في دراسات أخرى يعتبر أن تلاميذ جابر كانوا يكتبون آراء شيخهم رغم كرهه لذلك.

وكذلك في مسألة أخذ الإباضية الحديث عن غيرهم، فمرة يقول إنهم لا يأخذون بأحاديث غيرهم لأنهم متعصبون لمذهبهم، ومنغلقون على أنفسهم، وفي موضع آخر يذهب عكس ذلك فيعتبر أنهم يعرضون عن مسند الزبيد بن حبيب لعدم ثقتهم فيه، ويأخذون من صحاح أهل السنة.

وكذلك تفسيره لقضايا قديمة على ضوء إشكالات معاصرة، حيث يعتبر أن الإباضية سعوا إلى صياغة حديثهم وفق المعايير السنية وظهر هذا جليا بداية من الوارجلاني (570هـ) للوقوف ضد ضغوط الحركة السلفية، مع أن الفرق شاسع بين القرن السادس الهجري، وظهور الحركة السلفية المعاصرة.

ونتأسف للتهم الجاهزة دون دليل، منها اعتبار الإباضية يتلاعبون بالتاريخ ليتسنى لهم تقديم سلسلة سليمة للرواية كما فعله الزبيد بن حبيب، أو ما أطلقه الباحث من قذف على علماء أجلاء شهد لهم القاصي والداني كالعلامة الوارجلاني دون تحقق أو ترو، فهذا مما يدل على البعد التام عن أخلاق وأصول البحث العلمي والمنهجي، فالإباضية الذي حُشروا مع الخوارج معروفون بصدقهم وابتعادهم عن الكذب لأنه بالنسبة إليهم كبيرة من الكبائر، فما بالك بالكذب على رسول الله ﷺ، "كان الإباضية حريصين على التدقيق في ألفاظ الحديث، وبعيدين تماما عن التدليس، فلم يكونوا يأتون بعبارات توهم الاتصال في موضع الانقطاع، ولم يثبت أحدا من الإباضية على مر التاريخ أنه وضع الحديث." (65)

إطلاق أحكام دون تقديم حجة أو دليل وهذا من باب زرع الشك والتشويش على القارئ، كاعتبار أن ضمام بن السائب لم يكن له ذكر في كتب الزبيد، وغيرها كثير مما أتينا عليه في هذا المقال.

وفي آخر هذه الدراسة لا يسعنا إلا أن نقرر أن انتماء ويلكنسون إلى مدرسة المراجعين الذي تعتمد التشكيك في صحة المصادر الإسلامية أو إلغائها من الأساس ليس غرضها الدفع بمسار البحث العلمي قدما في قضايا تاريخية معقدة لا يزال

(65) رواية الحديث عند الإباضية، ص 151.

يكتنفها الغموض، بقدر ما هو إلا إثارة قضايا هامشية، وإشكالات فرعية من أجل بثّ الشكّ وعدم اليقين في موثوقية الأصول الإسلامية، فضلا عن إشغال القارئ بقضايا تغفله عن الأصل.

وإن كان الباحث أشار إلى قضايا غير واضحة اعترت جمع الحديث عند الإباضية، فياليته ترك المجال للباحثين لاستيضاح ما أشكل، لكنّه كان متسرعاً في إصدار الأحكام والتّهم، مما يدلُّ على جاهزيتها، وأنّ بحثه كان غرضه من أجل محاولة تأكيدها وبيان صحتها.

ويبقى هذا البحث بحاجة إلى المتخصّصين للرّد على بعض القضايا التي هي بحاجة إلى بحث متروّ واستقصاء للمصادر الإباضية لاستجلاء الغموض الذي يكتنفها.

قائمة المراجع:

1. أبو العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني (670هـ)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة.
2. أبو عبد الله وأبي سعيد وآخرين، كتاب من جامع أبي صفرة وفقهه بتعليقات، جمع وترتيب وتعليق، الطبعة الأولى 2012/1433، مكتبة مسقط، سلطنة عمان.
3. أبو عمر يوسف بن عبد البر (463)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، 1414/1994، دار الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
4. أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشّهرزوري (ت 643 م)، علوم الحديث لابن الصّلاح، تحقيق نورالدين عتر.
5. الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم (المقدمة)، دار السلام للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطّبعة الثانية، 2000.
6. جون كرافن ويلكنسون، الحديث عند الإباضية، بحث عن التّقريب بين الإباضية ومذاهب السّنة : ترجمة بكير أولاد باهون، الجزائر 1987/02/11، 1، john c wilkinson, "Ibadi hadith: an essay on normalization," Der Islam, vol. 62, pt.2 (1985)
7. الحافظ جلال الدين السيوطي (849هـ - 911هـ)، تدريب الرّواي في شرح تقريب النّووي، حققه أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، الطبعة الثانية 1415، بيروت، مكتبة الكوثر.
8. صالح بن أحمد بن سيف البوسعيدي، رواية الحديث عند الإباضية (دراسة مقارنة). (نسخة الكترونية). <https://alsaidia.com> (2019/05/02 15:15)
9. كتاب السّير، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، تحقيق أحمد بن سعود السيّاتي، سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة، 1992/1412، الطبعة الثانية.
10. مجموعة من الباحثين، معجم الأعلام الإباضية (مدخل إلى التّاريخ والفكر الإباضي من خلال تراجم لأكثر من ألف عالم من أعلام المغرب الإسلامي منذ القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحاضر)، جمعية التّراث لجنة البحث العلمي.
11. مجموعة من الباحثين، معجم المصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية، سلطنة عمان، الطّبعة الثّانية 2012/1433.

12. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، سنة النشر، 1422هـ / 2001م.
13. محمد بن إدريس الشافعي، مسند الشافعي ترتيب السندي، ص 5، (نسخة الكترونية).

مقالات:

14. سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، سلمة العوتي، مَعْلَمَةُ الفقه واللغة والتاريخ، جمعية التراث، 2010.
15. عبد الرحمن السّالمي، المراجعون الجدد مدرسة استشراقية جديدة؟، مقال في مجلة الحوار اليوم، 2011/08/08.
16. مصطفى بن دريسو، تطوّر الفقه عند الإباضية من خلال آراء المستشرق جون كرافن ويلكنسون، د. مصطفى وينتن، مجلة الشّهاب، مجلد 4، عدد 03، 1440/سبتمبر 2018، جامعة الوادي.

مراجع باللغة الأجنبية:

17. Ibadi Hadith ; An essay on normalization, Der Islam (Berlin) 62 (1985), 231 - 259
18. Ibadi Theology. Rereading Sources and Scholarly Works, Ersilia Francesc, Georg Olms Verlag, Heldchim. Zurich, 2015, P,330
19. Ibadism Origins and Early Development in Oman. : Wilkinson: J.C ; New York – Oxford 2010
20. The ibadi imam, Bulletin of the school of Oriental and african studies (London)39 (1976), 535 - 551
21. The Julanda of Oman, studies (Muscat, Ministry of information and culture), I (1975), 97 -108
22. The Origins of the romani state, the arabian peninsula, society and politics .. ED. Derek Hopwood. London : George Allen and Unwin LTD, 1979, 67-88

مواقع انترنت:

23. <http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=391>
24. <http://www.tourath.org/ar/content/view/2160/42/>
25. <https://www.tourath.org/ar/content/view/116/41/>